الترجمة الصحفية بين الاجتهاد و الارتجال

د. ناصر بلخير، جامعة تلمسان ، الجزائر

ملخّـــــص

يُعالج هذا المقال إسهام الكتابات الصُحفية في إغناء اللغة العربية ببعض الاستعمالات المأخوذة من اللغة الفرنسية، فيعرض لمظاهر تلك الاستعمالات من حيث المعجم و التركيب و التعابير السياقية، كاشفا فيها عن مواضع الارتجال التي تميّزها الترجمة الحرفية، و مواضع الاجتهاد التي تُظهر أن الصحفي يحرص على أداء المعنى في نقله من اللغة الأصل (الفرنسية) إلي اللغة الهدف (العربية) ، مُحَللا تلك الاستعمالات بعد دخولها إلي العربية مُستندا إلي بعض حقائق علم اللغة بمستوياته المختلفة.

Résumé

Cet article soulève les nouveaux usages dans les écrits de la presse algérienne d'expression arabophone. Ces usages, calqués généralement sur la langue française, touchent le lexique, la syntaxe et les expressions contextuelles. J'ai constaté que la traduction de ces usages de la langue source (le français) vers la langue cible (l'arabe) se fait parfois par improvisation, et d'autres fois par souci de reproduire le sens de l'usage loin de toute linéarité.

ليست اللغة نظاما مغلقا ، بل هي عرضة للتغيير والتطور،وليس في مقدور الأفراد إيقاف تطورها و جعلها حبيسة وضع معين، أو تحويلها إلى وجهة مخالفة للوجهة التي ترتضيها لها قوانين التطور الطبيعي. فاللغة في حياتها تخضع لعوامل كثيرة و تتأثر بها «إحداها عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة و عاداتها، و الثانية تأثر اللغة بلغات أخرى، و الثالثة عوامل أدبية تتمثل فيما تُنْتجُه قرائحُ الناطقين بها، و الرابعة هي انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، و خامسها عوامل طبيعية، و سادسها عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها و طبيعة أصواتها و قواعدها. »[1]، و لغة الصحافة ليست بمعزل عن هذا التطور إذ تؤثر فيها عوامل خارجية متصلة بالحياة الاجتماعية و الثقافية و النفسية، و عوامل داخلية متعلقة باللغة نفسها.

وفي تاريخ العرب اللغوي الطويل يكثر تردُدُ علَّة « كثرة الاستعمال « عند العلماء، حتى إن الأخفش يوضح منهج العرب في التغيير لكثرة الاستعمال، و هذا ما ذكره ابن الدهّان فقال: « ذهب الأخفش إلى أنّ ما غُيّر لكثرة استعماله إنّما تصوّرته العرب قبل وضعه، و علمت أنّه لا بدّ من استعماله فابتدأوا بتغييره علما بأن لا بدّ من كثرة استعماله الدّاعية إلى تغييره. »[2]

كما يتردد في كتبهم مصطلح « الاتساع « الّذي عدّهُ سيبويه خروجا عن الوضع في الاستعمال ، من ذلك استعمالهم الفعل في اللّفظ لا في المعنى ،» فمن ذلك أن تقول على قول السائل : كم صِيدَ عليه ؟ فتقول صِيدَ عليه يومان، وإنّما المعنى صيد عليه الوحش في يومين ، ولكنّه اتّسع واختصر. » [3]

وشرط سيبويه في مثل هذا الاتّساع في الكلام هو علم المخاطب بهذا الاستعمال فهو يقول : « ومثله في الاتّساع قوله عزّ وجل: ﴿ **ومثل الّذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاءً و نداء** ﴾ » [4]، وإنّما المعنى : مثلكم ومثل الّذين كفروا كمثل النّاعق و المنعوق به الّذي لا يسمع،ولكنّه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى[5] وشيوع هاتين العلتين في تحاليل اللغويين العرب دليل على وعيهم المبكر أن بحيوية اللغة و قابليتها للتغيير، هذا التغيير الذي يتخذ غالبا شكلين؛ أولهما طبيعي يقوم به عامة الناس المنتمون للغة الواحدة و ذلك بالاتساع في مستويات اللغة المختلفة، و ثانيهما مقصود و يقوم به المَهَرةُ من أبناء هذه اللغة و هم أرباب النظم و النثر الذين يحسنون تصريف الكلام، و كذا المجامع اللغوية والهيئات العلمية وذلك عند الحاجة إلى وضع دلالات جديدة لمستحدثات اجتماعية أو علمية.

والمهرةُ من أبناء اللغة هم الشعراء بسبب الإثارة الّتي يتسم بها كلامهم، و هذا ما دفع قدماء اللّغويين العرب إلى تقديم لغة الشّعر وتفضيلها، والحكم لها بالعلوّ والرّفعة

في مقابل لغة التّداول، حتّى إنّ الخليل بن أحمد اعتبر «الشّعراء أمراء الكلام يُصرّفونه أنّى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده... واستخراج ما كلّت الألسن عن وضعه ونعته، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيُقرّبون البعيد ويُبعدون القريب، ويُحتجّ بهم ولا يُحتجّ عليهم.»[6]

وإنّما أحرز الشّعراء على إمارة الكلام من جهة أنّهم أعلم النّاس « بالضّرورات الّتي تمرّ بهم في المضايق الّتي يدفعون إليها عند حصر المعاني الكثيرة في بيوت ضيّقة المساحة»[7]، فضلا عن قدرتهم الفائقة في تصريف الكلام إذ « ليسوا يقولون شيئا إلاّ وله وجه فلذلك يجب تأويل كلامهم على الصحّة.»[8]

ويرى ابن جنّى أنّ الشّاعر الّذي يرتكب هذه الضّرورات؛ لا يمكن نعته بالضّعف اللّغوي، وإنّما عمله هذا دليل على صَوْلته وقوّته في تصريف الكلام، فهو يقول: « فمتى رأيت الشّاعر قد ارتكب مثل هذه الضّرورات على قبحها، وانحراف الأصول بها، فاعلم أنّ ذلك ما جشمه منه. وإن دلّ من وجه على جَوْره وتعسّفه، فإنّه من وجه آخر مُؤَذِّن بصيّاله و تحمّطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره.»[9]

وهذه الحظوة التي كانت لفن الشعر في نفوس العرب عامة و المهرة منهم خاصة، إذ حمل الشعراء لواء التجديد والتوسع في الدلالات الإفرادية والتركيبية والتعابير السياقية للغة، لم يعد لها وجود بفعل قلة المتمرسين بالقريض الذين يحسنون تصريف كلام العرب، فحملت جهات أخرى على عاتقها هذه المهمة الثقيلة، فتراوح عملها بين التوفيق تارة و الإخفاق مرات كثيرة لا سيما حين يتسم عملها هذا بالارتجال.

ومن بين هذه الجهات المؤسسات الإعلامية التي تساهم بجهد كبير في انتشار اللغة العربية وتوسيع دائرة المقروئية بها، لدرجة أن حجم ما يُقدمه الصحفي للقراء من زاد معجمي وأنماط تعبيرية في فترة قصيرة، لا يستطيع الأديب المبدع بلوغه إلا بعد ذيوع شهرته وكثرة قرائه، و هو هدف يتطلب جهدا دؤوبا مُضنيا و استمرارية في الإنتاج.

ونلاحظ في الواقع أن الناس يتفاعلـــــون مع لغة الإعلام-قراءة ومشاهدة واستماعا- لأنها لغة تعتمد على الواقع المحسوس، و تنأى عن استعمال الخيال، وتركز على الوظيفة الأساسية للغة ألا و هي الوظيفة التواصلية، و هذا يعني أن الصحفيين مثلا قد يتجاوزون أحيانا مسألة ترسيخ الصواب اللغوي في كتاباتهم. وإذا نظرنا إلى حال العربية اليوم فلا أحد-من المشتغلين في حقل الدراسات اللغوية- يُنكر بأن الصحافة « كان لها دور كبير فيما أصاب اللغة العربية من تغيير، و لا نبالغ إنْ قُلنا إنَّ العربية المعاصرة مَدينَةٌ للصحافة بما تتمتع به اليوم من مُرونة و يُسر.»[10]، لأن كثرة المُستحدثات المادية و الفكرية دفعتْ الصحافي إلى « الإقدام على أساليب

جديدة و تحرير اللغة من بعض الصيغ التعبيرية والشكليـــــة التي لا تتماشى و حداثة العصر. »[11]

وتشكل اللغة المستعملة في الصحف الجزائرية نمطا من أنماط العربية المعاصرة، وهي مستمدة من مصادر ثلاثة هي:

1 - العربية الفصحى؛ بنظاميها الصرفي و النحوي الذين تفصلهما متون اللغة.

2 - اللهجات العامية، المنتشرة في الجزائر و المتنوعة بتنوع المناطق.

3 - اللغات الأجنبية؛ وذلك بتعريب الوحدات المعجمية والتراكيب والتعابير السياقية من هـــــــا

ومعنى هذا أن الاستعمالات الصحفية لم تأت من العدم، و إنما بُنيتْ على مُرتكزات موجودة سلفا و أَدخَلتْ « اللغة في سياقات متعددة الأبعاد من حيث نقل التراث و تهذيبه و العمل على الإبداع فيه و بما أضافتْه من تعابير جديدة ».[12]

ومعلوم أن كل لغة لها امتدادها التاريخي، و مع ذلك فإن مسؤولية أبنائها في استمرارها و تجددها تبقى قائمة، بمعنى أن التراث المعجمي مصدر هام لاستحداث الأسماء للمسميات الجديدة، و لكن مؤسسات المجتمع و منها الإعلام بوسائله المختلفة هو كذلك مصدر لغوي ينبض بالعطاء في عصرنا.

و بالنظر إلى لغة الصحافة التي تعتمد اللغة الفرنسية كَسنَد في مستويات المعجم و التركيب و الدلالة في كثير من كتاباتها، فإننا نلاحظ أن بعض الاستعمالات يمكن اعتبارها إضافة للغة مثل: المُوَاطَنة، تَحْيين، الانتقال الديمقراطي، دق ناقوس الخطر، في حين أن بعضها الآخر لا يرقى لأن يكون كذلك لأسباب علمية بحثة نفصلها لاحقا من ذلك مثلا:أنسنة، الحركة الجمعوية، الاشتغال على الذاكرة، مطالبة اللاعبين بوضع أقدامهم على الأرض.

ومع ذلك فإن الذي يجمع بين هذين النوعين من الاستعمال هو أنهما نتاج الحياة المهنية للمشتغلين بمجال الصحافة، و بكل ما لدى أصحابها من حس لغوي وظفوه عند اصطدامهم باستعمالات منتشرة في لغات أخرى اجتهدوا في نقلها إلى العربية، حتى إننا نجد أن الاستعمال العربي هو المُتداول لدى قطاع عريض من الناس في مقابل غياب الأصل الفرنسي، مثل: تهميش، طي الصفحة (نسيان الماضي)، قنبلة موقوتة. وفي هذه الدراسة أحاول تتبع بعض الاستعمالات اللغوية التي أخذتها من مُدَوّنة لغوية مستقاة من جريدة الخبر على مدى ثلاثين عددا، و التي هي في أصلها ترجمة لاستعمالات في اللغة الفرنسية،فأحاول الكشف عن بعض الانزلاق و الارتجال في بعضها، والذي لاحظته في الدلالة الإفرادية(المعجم)، الدلالة التركيبية، والتعابير السياقية.

أولا: الدلالة الإفرادية:

الوحدة المعجمية	الجملة التي وردت فيها	تاريخ صدور الجريدة	مُقابلها في اللّغة الفرنسية	التّحليل	الصّحيح
خَصْخَصَة	نُحذّر من خصْخَصَة التاريخ	05/07/2014	subjectivité	ليس في العربية «خصخص الشيء» و إن وُجد البناء الصرفي «فَعْلَلَة»	نحذر من الذاتية في كتابة التاريخ
خَمْسيني	خَمْسيني يُضْرم النار في جسده	05/07/2014	quinquagénaire	يُجمع النحاة أن النسب إلى ألفاظ العقود يكون بردها إلى الإفراد. (13)	قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة صحة إلحاق الياء بألفاظ العقود (14)
التَنْسيقية	التنسيقية تنظم ندوة	08/07/2014	coordination	النقل من الوصفية (التنسيقي) إلى الاسمية (التنسيقية) بواسطة اللاحقـــة « ية » (15)	اللجنة المنسقة أو الهيئة المنسقة

أَنْسَنة	وزارة العدل تتباهى بأَنْسَنة ظروف الحبس	10/09/2014	humanisation	لم يرد في العربية اشتقاق من لفظ «الإنسان»، و لكن صحَّ الفعل «تأَنَّسَ « أي صار إنسانا(16)	يُمكن أن نقول في هذه الحالة « تَأنيس »، كما نقول تجريد» من «تجرَّد»
تحْيين	تحيين كتابَي السنة الأولى والثانية من التعليم الابتدائي	13/09/2014	actualiser	نقول «حَيَّنَ « أي جَعَل له حينا و ميعادا،و تَحَيَّنَ منه غَفْلَة أي تَرَصّد حينَها،و يَتَحَيَّنُ طعام الناس أي يرقبه.(17)	تفعيل أو مراجعة
تَرَيَّف	المدينة تتريف	08/10/2014	Se ruralise	تَرَيَّفَ المكان أخصب،و تَرَيَّفَ القوم صاروا إلى الريف.(18)	يمكن قبوله في إطار التغير الدلالي.

ثانياً: الدّلالة التّركيبية:

التّركيب	تاريخ صدور الجريدة	مُقابلُه في الفرنسية	نوع التّركيب	التّحليل	الصّحيح
الانتقال الديمقراطي	08/07/2014	Transition démocratique	تركيب وصفي	الترجمة حرفية	فهمُ هذا الاستعمال يقتضي العودة إلى الأصل الفرنسي.
الديمقراطية التشاركية	13/09/2014	Démocratie participative	تركيب وصفي	الترجمة حرفية. النقل من الاسمية (التشارك) إلى الوصفية (التشاركية) بإضافة اللاحقة«ية»	فهمُ هذا الاستعمال يقتضي العودة إلى الأصل الفرنسي.
ديمقراطية الواجهة	06/10/2014	Démocratie de façade	تركيب إضافي	الترجمة حرفية. يوحي هذا الاستعمال بأن هناك ديمقراطية ظاهرة و باطنة.	فهمه يقتضي العودة إلى الأصل الفرنسي. و معناه ديمقراطية الزيف و الخداع.

الاشتغال على الذاكرة	05/07/2014	Travail de mémoire	تركيب إسنادي	الترجمة حرفية	فهم هذا الاستعمال يقتضي العودة إلى الأصل الفرنسي، و معناه العمل على حفظ ما هو مشترك بين فرنسا و الجزائر و عدم نسيانه.
شبكات مُوَاطِنة	08/07/2014	Réseaux citoyens	تركيب وصفي	ليس هناك اشتقاق لصفة من صفة في العربية. فلفظ «مُواطَنَة« إذا اعتبرناه صحيحا ومأخوذا من«الوطن«، هو في حُكم الصفة، فلا يمكن أخذ صفة منه ونقول «مُواطِنة».	

الحركة الجمعوية	23/08/2014	Mouvement associatif	تركيب وصفي	الترجمة فيها تعسف وارتجال. ومن الناحية الصرفية فإن الواو في لفظ «الجمعوية» حرف دخيل وليس منقلبا عن أي حرف، لأن «الجمعية» جاءت من «جمع» و هو فعل صحيح.	الصحيح أن نقول التنظيمات الأهلية أو الجمعيات الأهلية.

ثالثاً: التّعابير السّياقية:

التّعبير السّياقي	مُقابلُه في الفرنسية	تاريخ صدور الجريدة	معناه	ملاحظات
أمير في عين الإعصار	Dans l›œil du cyclone	05/07/2014	في وضعية قانونية خطيرة نتيجة ارتكابهم مخالفات في التسيير، هم متواجدون في لب المشكل.	ترجمة مقبولة.

لاعبون دخلوا التاريخ بفضل أهداف سجلوها في مرماهم	Sont entrés dans l›histoire	02/07/2014	أصبحوا مشهورين	ترجمة مقبولة.
العربة قبل الحصان	La charrette avant les bœufs	23/08/2014	سوء فهم فقه الأولويات	ترجمة مقبولة.
غوركوف يطالب اللاعبين بوضع أقدامهم على الأرض	Garder les pieds sur terre	08/09/2014	عدم الغرور والتزام التواضع	الترجمة حرفية. فهم هذا الاستعمال يقتضي العودة إلى الأصل الفرنسي.
فلاحو يلّل يدقون ناقوس الخطر	Tirer la sonnette d›alarme	13/09/2014	المشكلة قد استفحلت ويجب علاجها	ترجمة مقبولة
انطلاق تصفيات المسابقة الوطنية للحنجرة الذهبية	Concours de la voix d›or	27/09/2014	أجمل صوت	ترجمة حرفية. فهم هذا الاستعمال يقتضي العودة إلى الأصل الفرنسي.

ومن هذه الدراسة تبين لنا ما يلي:

1 - إن الترجمة الصحفية تمس الدلالة الإفرادية،و الدلالة التركيبية،والتعابير السياقية.

2 - تتراوح الترجمة بين ترجمة حَرفية يكتفي فيها الصحفي باستبدال الوحدات المعجمية من اللغة الأصل (الفرنسية) بوحدات معجمية أخرى من اللغة الهدف (العربية)، وترجمة مقبولة يلتزم فيها نقل المعنى.

3 - يكثر في الترجمة الصحفية النقل من الوصفية إلى الإسمية،مع استخـــدام اللاحقة « يّة » المكونة من الياء المشددة و التـء المربوطة.

4 - تُسْهِمُ الكتابات الصحفية في التغير الدلالي، مثل نقل معنى الترييف من الإخصاب إلى الاتصاف بمظاهر الريف.

الهوامـــــش:

1 - علي عبد الواحد وافي؛ اللغة و المجتمع: ص11.
2 - السّيوطي؛ الأشبـــــــاه والنّظائر: 1/291.
3 - سيبويه؛ الكتاب: 1/211.
4 - البقـــــــــرة: 171.
5 - سيبويه؛ الكتاب: 1/211.
6 - حازم القرطاجـــني؛ منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص-143 144.
7 - حمزة الأصفهاني؛ التنبيه على حدوث التصحيف: ص-159 160.
8 - حازم القرطاحجّي؛ منهاج البلغاء: ص 144.
9 - ابن جنّى؛ الخصائـــــــــص: 2/392.
10 - محمد حسن عبد العزيز؛ لغة الصحافة المعاصرة: ص4.
11 - صالح بلعيد؛ دروس في اللسانيـــات التطبيقية: ص135.
12 - صالح بلعيد؛ اللغة العربيـــــــــة العلمية: ص129.
13 - ومنهم ابن هشام في مغني اللبيب: ج3/113 ، وابن سيدة في المُخصص.
14 - محمد شوقي أمين؛القرارات المجمعية في الألفاظ و الأساليب: ص119.
-14 لويس معلوف؛ المُنْجد في اللغة: ص19.
15 - اللاحقة « يّة « وسيلة أجازها مجمع اللغـــة العربية بالقاهرة تعويضا للاحقة « ISM » في الإنجليزية مثل: Racism-Liberalism-Humanism، فكانت ترجمتها إلى العربية: عنصرية-لبرالية-إنسانية.
17 - لويس معلوف؛ المُنْجـــــــــــــــــد في اللغة: ص165.
18 - ابن منظور؛ لسان العرب: مج/9، ص129-128؛ و المنجد: ص290.
19 - لويس معلوف؛ المُنْجد في اللغـــــــــــــــــة:ص102.